المتصوفة ام ماطوس

المدرس المساعد زُلى ريسان عجمي
ماجستير تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب
dr.rularissan19@uomustansiriyah.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

كانت ام ماطوس من النساء الصالحات الليبيات من جبل نفوسة، وهي أول فتاة ليبية تشترك في مدارس الفتيان وكانت تنتقل بين القرى من أجل التحصيل العلمي وزيادة المعرفة وحضور مجالس الذكر والوعظ الى جانب الرجل وفي شتى الظروف، وقد تتلمذت على يد الشيخ أبي محمد الخصيب، وكانت ممثلة للنساء في المجالس العلمية التي يعقدها المشايخ لمناقشة قضايا الامة.

المقدمة

لقد رفع الله ﷻ مكانة المرأة فنعمت في ظل دين الإسلام بالعدل والمساواة والمكانة الرفيعة بما لم تجده في أي شريعة أخرى، ففجر الإسلام طاقاتها ونمى مواهبها فكان لها الأثر الكبير في مسيرة الدعوة الاسلامية، فقد شاركت المرأة المسلمة في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام في نشر الدعوة بالقدر الذي خُلقت له، وليس يخفى على أحد دور الصحابيات رضوان الله عليهن ومواقفهن وأسمائهن وعلى خطى أولئك الطاهرات سارت نساء الاباضيه لاسيما منهن أم ماطوس الصوفيه التي كانت إمرأة يُقتدى بها من نساء عصرها فكانت خير إمرأة في العفاف والدين.

وقد كان المجتمع المغربي وعبر حقبه وتطوراته التأريخية للمرأة حضور في شتى المجالات الثقافية والدينية والسياسية، فكما هو معلوم لم يعد يقتصر دور المرأة في الاشغال الشاقة للبيت بل تقلدت مناصب قيادية أثبتت حنكتها ومهارتها في كل شيء فتجد منهن النساء الفقيهات و العالمات ومنهن الواعظات المرشدات ومنهن الحافظات لكتاب الله ومنهن ذوات الروحانية القوية حتى عرفن برابعات زمانهن والواقع إن النساء العالمات المشهورات بالصلاح في بلاد المغرب أخذن مكانة مرموقةٌ في مجال الفكر الصوفي المغربي وأثارهن شاهده عليهن.

فلم يقتصر التصوف والزهد على الرجال فقط بل برزت في هذا المجال مجموعة نساء متصوفات التي كُن يجالسن الفقهاء حيث أثرت بعض النسوة إقتحام هذا الميدان الرجولي ليثبتن من خلاله إن المراة ليست أقل تقوى من الرجال ولا أقل علماً كما عملت جنباً الى جنب الرجل الصوفي الذي سخر نفسهُ لنشر التصوف عبر أرجاء بلاد المغرب وقد حققت المراة الصوفية دوراً بارزاً كسرن من خلالهُ حاجز الذكورية في مجتمعاتهن

إسمها: يذكر ان إسمها عافية (الشقصية، ٢٠٠٠م، صفحة ١١٣).

كنيتها: كانت تكنى بإم ماطوس (الكوردي، ٢٠٠٨م، صفحة ١٦٨)

ولادتها: ولدت أم ماطوس في قرية جاراصرا أو جار أيزرار في مدينة ليبيا في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ثم شدت ام ماطوس الرحال نحو مدينة تملوشايت التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي ٢٤٠كم (الكوردي، ٢٠٠٨م، صفحة ١٤)، وكان لها تأثير ودور كبير في الجبال(جبال نفوسة) (البغطوري، ٢٠١٧م، صفحة ١٣٨) تعتبر أم ماطوس أول فتاة ليبية تشترك في مدارس الفتيان (الجيطالي، ١٩٨٥م، صفحة ٩٠) وكانت تنتقل بين القرى من أجل التحصيل العلمي وزيادة المعرفة وحضور مجالس الذكر والوعظ إلى جانب الرجال حتى ولو كانت في ظروف صحية لاتسمح بذلك (الكوردي، ٢٠٠٨م، صفحة ١٦٨) وهذا ما أشار إليها المؤرخ البغطوري قائلاً " ثم تزوجت في أيميتون فسارت ذات مرة إلى تندوزيغ لتحضر المجلس فولدت هناك صبية تحت شجرة التين، وإذا ثقلت عليها إبنتها تقول لها يافلانة في المجلس الآن لذة فتترك ذلك" (البغطوري، ٢٠١٧م، صفحة ١٨٦)

وقيل "ذهبت ذات مرة ليلاً إلى أجناون لتحضر المجلس وبينهما قرب عشرة آميال ومعها إمتها" (الشقصية، ٢٠٠٠م، صفحة ١١٤).

وأضاف البعض بالقول "وسارت مرة من منزلها ليلاً إلى اجناون لتحضر مجلس الذكر هي وامتها فرات جماعة أمامها عليهم ثياب بيض" (البغطوري، ٢٠١٧م، صفحة ١٨٦)

مدرستها: مدرسة أبي محمد خصيب التمصمصي* (مجموعة مؤلفين، ١٩٩٩م، صفحة ١٣٣) أسست هذه المدرسة على يد شيخها ابو محمد بن الخصيب التمصمصي خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وكانت هذه المدرسة مختلطة بين الجنسين وقد درست بها أم ماطوس ويذكر " إن ام ماطوس كانت تتعلم عند أبي محمد الخصيب وهي بكر" (الكوردي، ٢٠٠٨م، صفحة ٩٢)

* هو أبو محمد بن الخصيب بن ابراهيم التمصمصي من أعلام جبل نفوسة أخذ العلم من ابي يحيى زكريا بن يونس الفرسطاني ثم أسس مدرسه شهيرة في بلدة تمصمص التي ينسب اليها وكانت مدرسته للذكور والاناث على السواء، توفي ودفن بالجبل وكانت أم ماطوس أحد تلامذته.

وتعد أم ماطوس من اوائل الفتياة اللاتي تعلمن في هذه المدرسة والذي يدل دلالة واضحة على أن طلب العلم كان شائعاً في هذه المدينة ولم يقتصر التعليم على الرجال فقط بل حتى النساء شاركن فيه وبلغن درجة الإجتهاد (الكوردي، ٢٠٠٨م، صفحة ٩٢)

علمها: كانت ام ماطوس عالمة شهيرة، اخذت العلوم عن شيخها أبي محمد الخصيب التمصمصي بمدرسته في بلدة تمصمص بجبل نفوسة في ليبيا (مجموعة مؤلفين، ١٩٩٩م، صفحة ٣٥١) وقيل " إنها كانت تمشي إلى أبي محمد الخصيب في الليل فتحضر مجلس الذكر، وهي من النساء اللاتي إشتغلن في العلوم ومنها الفقه، وتعتبر ام ماطوس من النساء الصالحات (الكوردي، ٢٠٠٨م، صفحة ١١٤)، وكانت ممن يلتقي عند إقتراب شهر رمضان لدى الأمير أبي الربيع سلمان الباروني لمذاكرة مسائل العلم والفتوى (مجموعة مؤلفين، ١٩٩٩م، صفحة ٣٥١)، وقد كانت أم ماطوس إنموذجاً للمرأة المسلمة والعالمة العاملة، وقد إرتقت حتى أصبحت ممثلة للنساء في المجالس العلمية التي يعقدها المشايخ لمناقشة قضايا الأمة (مجموعة مؤلفين، ١٩٩٩م، صفحة ٣٥١).

حياتها: تربت أم ماطوس في حجر الدين ونمت في رياض الله عزوجل وتألق وجدانها في حرم مجالس العلم، وكانت حريصة على حضور هذه المجالس لشغفها بالمعرفة والتفقه في امور الدين حتى أصبح مشايخ العلم لا يعقدون مجلساً إلا بحضورها وقد طلبت العلم في بلدها على يد علمائها حتى لم تجد عندهم جديداً فرغبت في الإلتحاق بمدرسة أبي محمد الخصيب، وليس بالمدرسة قسم للبنات وبين البلدتين مسافة طويلة لاتقل عن(أربعة اميال) فعرضت أمرها على اهلها فعارضوها ولما ألحت في الطلب ثارت ثائرتهم وقرروا أن يمنعوها بالقوة وكيف يسمحوا لفتاة في عمر صغير أن تقطع تلك المسافة الطويلة يومياً بمفردها وكان أشد المعارضين هو أخاها فرئى أن يحبسها، فكانت إذا أتى الليل أغلق الباب عليها ونام على الباب، فكانت تتركه حتى ينام فتفتح الباب وتغلقه خلفها فتاخذ مزراقها في يدها وتذهب إلى الدرس فتحضر المجلس متلحفة بثوبها فإذا إفترق المجلس رجعت وتجعل مزراقها في زيتونة ثم تدخل البيت وتغلق الباب وكأن شيئاً لم يكن، وكان ذلك دأبها، فلم تنجح جميع هذه الوسائل في صدها عما رغبت فيه ودرست في تلك المدرسة حتى تخرجت منها وكانت فيما بعد مرجعاً من مراجع العلم والفتوى (الشقصية، ٢٠٠٠م، صفحة ١١٣) يذكر البغطوري (البغطوري، ٢٠١٧م، الصفحات ١٨٥-١٨٦)" كانت تتعلم عند أبي محمد الخصيب، وهي بكر، وقيل: إنها تمشي إلى أبي محمد التمصمصي في الليل فتحضر مجلس الذكر وتمسك في يدها مزراقها كهيئة الرجل، فإذا إقتربت من المنزل جعلته في جذر زيتونة وإذا إفترق المجلس رجعت إلى منزلها، فسمع أخوها بذلك فغلق الباب عليها ورقد على الباب

فتتركه حتى يأخذه النوم فتقوم بفتح الباب وتجاوزه وهو راقد فتمضي، فتحضر مجلس الذكر ثم ترجع وتتجاوزه وتدخل وتغلق الباب كما كان.

وكان المشايخ لايعقدون مجلساً إلا بحضورها، فتحضر المناقشات وتسمع آراء الآعلام وكثيراً ما كانت تتكبد مشاق السفر وهي حامل لتحضر المجالس التي يختارها المشايخ للإجتماع، وكانت ورعة في دينها حافظة لحقوق زوجها، يروي أن أحد المشايخ أراد المبيت في بلدة أم ماطوس فلما وصل أرسل بغلته إلى أم ماطوس لينزل عندها فردتها، ثم أرسلت إليه فاخذتها وإعتذرت للشيخ عند العشاء بان زوجها غائب حين بعث ببغلته فلما جاء إستئذنته فأذن لها (الشقصية، ٢٠٠٠م، الصفحات ١١٤-١١٥)

يذكر البغطوري (البغطوري، ٢٠١٧م، صفحة ١٣٨) "وأستضيف في أمتون فأرسل بغلته إلى بيت ام ماطوس لينزل عندها فردت البغلة له، ثم بعد ذلك بقليل أرسلت إليها فأعطاها لرسولها فالتقيا عند الإفطار فقال لها لما أرسلت البغلة أليك فرددتها إلي أفعدمت أين أرسلها ياعافية، فقالت لم يكن صاحب البيت حين أرسلتها، فرددتها، فلما قدم إستأذنته فأارسلت إليها فاكلا ما مضى لهما، وإشتغلا بصلاتهما"

وكانت هذه المرأة لم يمنعها حجابها من الجلوس في مجالس المشايخ تستمع إليهم وتسألهم وتستجيب لنقاش الطلبة وترد عليهم ولم يمنعها حيائها من بلوغ تلك المرتبة السامية من العلم بل زادها العلم مزيداً من الإجتهاد في طلبه (الشقصية، ٢٠٠٠م، صفحة ١١٥)

وذكر لنا البغطوري عن إقتصادها فيقول" ومن إقتصادها أن كوزاً من الزيت مكث عندها سنة تجعل منه بإصبعها لإبنتها في طعامها (البغطوري، ٢٠١٧م، صفحة ١٨٦) ويذكر لنا أيضا عن قيامها فيقول" إنها دامت على القيام خمسين سنة متتابعة" (البغطوري، ٢٠١٧م، صفحة ١٨٦) فقدعرف عنها بكثرة الصيام حتى قيل إنها دامت على الصيام خمسين سنة (مجموعة مؤلفين، ١٩٩٩م، صفحة ٣٥١).

الخاتمة

كانت ام ماطوس من النساء الصالحات الليبيات من جبل نفوسة، وهي أول فتاة ليبية تشترك في مدارس الفتيان وكانت تنتقل بين القرى من أجل التحصيل العلمي وزيادة المعرفة وحضور مجالس الذكر والوعظ الى جانب الرجل وفي شتى الظروف، وقد تتلمذت على يد الشيخ أبي محمد الخصيب، وكانت ممثلة للنساء في المجالس العلمية التي يعقدها المشايخ لمناقشة قضايا الامة.

المصادر

الجيطالي. (١٩٨٥م). *قناطر الخيرات*. (عمرو النامي، المحرر) القاهرة.

بدرية بنت حمد الشقصية. (٢٠٠٠م). *السيرة الزاكية للمراة الأباضية*.

مجموعة مؤلفين. (١٩٩٩م). *معجم اعلام الاباضية من القرن الاول الهجري الى العصر الحاضر* (الإصدار ج٢). (محمد صالح ناصر، المحرر) دار العرب الاسلامي.

محمود حسين الكوردي. (٢٠٠٨م). *الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي*. بنغازي، ليبيا: دار الكتب الوطنية.

مقرين بن محمد البغطوري. (٢٠١٧م). *روايات الأشياخ*. (عمر بن لقمان، المترجمون) عمان – بركاء: مكتبة خزائن الأثار.

Sufis Umm Matous

Prepared by Assistant Lecturer Rula Risan Ajami

MA in Islamic History

Al-Mustansiriya University/College of Arts

dr.rularissan19@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract

Umm Matoos was one of the righteous Libyan women from the Nafusa Mountains. She was the first Libyan girl to participate in boys' schools. She used to move between villages in order to attain education, increase knowledge, and attend dhikr and preaching gatherings alongside men in all circumstances. She studied under Sheikh Abu Muhammad al-Khasib. A representative of women in scholarly councils held by sheikhs to discuss the nation's issues